الجوهرة والرقيم

احمد عمر

كان فناناً يصبغ الحجر بألوان الزهر. فتصير الحجارة زهوراً من غير عبق، وكان يصطفي ألواح الحجر من قيعان الوديان، وجداول الأنهار. ألواح صغيرة، في جرم راحة كفّ الطفل رقّة وعرضًا، ويرسم عليها لوحاتٍ حروفيةً جميلة، ويبيعها في الشارع، ويكتفي بقوت يومه، لا يزيد ولا يحيد، وكان يعثر أحياناً على حجارةٍ نادرةٍ منها كرة تملأ الكف. وكنت أزوره بين الحين والآخر في مرسمه، أفضّل طريقي إليها كل مرّة أقصده فيها، لوعورة الطريق ووحشة السفر. في بيته موقدة، فإن كان الوقت شتاءً تدفأ عليها وشوى، وإن كان صيفًا طبخ فيها وخبز، فيتركني لشأني في كتابي، وينصرف إلى أصبغته. صادفته فسألني أن أقف مكانه وكيلاً، فوافقتُ على مضض، وإن له موعدًا لن يخلفه، ولم أكن قد بعت في حياتي شيئًا، كنت دومًا أشتري. بعت عدة رقائق، وتعبت من الوقوف، فجلست على كرسي أوكورديون يطوى مثل السجل، سئمت، فجعلت أقرأ في قصةٍ بوليسيةٍ معي، ما لبثت أن وجدتُ نفسي أمضي في آثار المجرم الذي تسلل إلى فيلا وسرق جوهرةً نادرةً ليس لها مثيلٌ في الدنيا، وأغرته بيت خاشع فساقه فضوله أن يستطلع أمره.

حاولت كثيرًا تفكيك العبارات المكتوبة على وجه الألواح، فعجزت، وعلى ظهرها فطُبلت، وكان بعض الناس يشترون الرقائق رغبةً في فكّ ألغاز عباراتها. كان صاحبي الفنان يصطاد قلوب زبائنه بطريقتين، فإن لم يعجبوا بألوانه، أسرهم خفاء عباراته الملثّمة، ووعورة حروفه، عرفت واحدة منها، عليها عجز بيت المتنبي: «فإنَّ السك بعضُ دم الغزال». وكان اللوح الوحيد الذي رسم عليه من الوجهين، وثمنه أغلى من الألواح الأخرى. ونويت أن أستهديه واحدة، ولم يكن صاحبي بخيلا، لكني استأنيت حتى يصير عندي بيت. ولم أنتبه إلى الصبيّة التي أشارت إلى لوحٍ من الألواح المعروضة، وأخذتْ النقود من يدها، ونظري معلّقٌ بكتابي، وقد وثبت معّ اللص فوق السور، وتسلّلت إلى مخدع سيدة البيت الخانع النائمة، فسُحر بجمالها وحسنها، وأسره شعاع النور الخافت من ضوء القمر على وجهها، فتيبس واقفًا مذهولًا، وأخذ بها وشغف، ثم خطر له خاطر. انتبهت، فأحصيتُ الحاصل، والتبس عليَّ الأمر، ورجّحت أن السيدة الأخيرة نسيت دفع ثمن اللوحة، فتركت كتابي والسيدة النائمة واللص مسحورًا بجمالها، ما يزال واقفًا، هل يمكث فيرتوي من سحرها أم يعود على أدراجه، ولحقت بها في الزحام، وبلغتها واستوقفتها وأنا ألهث، فتوقفتْ، واستدارت إلى فنظرت إليها، فوجدت ما وجد الثعالبي: مطلع الشمس من وجهها، ومنبت الدرّ في فمها، ومزهر الورد من خدّها، ومنبع السحر من طرفها، ومبادي الليل في شعرها، ومغرس الغصن من قدّها، ومهيل الرمل في ردفها، حتى إني غصصتُ بريقي، وجمدتُ في مكاني، ولم أعد أعرف عدوي من صديقي، وفقدت طريقي، وشهقت، وقلت هذه أجمل امرأة رأيتها في حياتي. وأظن أني توقفت عن النفس، وكدت اختنق، لولا أنَّ التنفس حتمٌ لا طاعة له في مُلك الإرادة. رفعت نظارتها، وكان لا يزال اللوح في يدها فبانت عيناها، ورمت بسهميها في أشعار قلب مقتل، وكنت أيبسُ. فرفعت يدي معتذرًا مستسلمًا، وعدت خطوة إلى الوراء حتى أنجو من السقوط، حتى أنه تهيأ لي أني كنت أحمل سكّينا وسقطت مني فصاصات على الأرض، ثم نبست بثلاثة أحرف، فطرت من ثغرها حرفًا حرفًا، مثل عسل التين الناضج، وقالت باسمة: نعم. كانت يداي مرفوعتين كأنها شهرت عليَّ سيفًا، وكان عنترة قد اشتهى ثغر عبلة عندما لمع سيفه وودَّ أن يقبّله، أمّا أنا فتذكّرت السيف عندما رأيت ثغرها، وأنا ذاهلٌ عن الناس حوالي يتدفقون، من اليمين والشمال، واقف في جفن الردى، وعجزت عن الكلام، ولم أكن بعتُ في حياتي شيئًا، كنت أشتري دومًا، وتمنّيت لو استطعت شراء خيالي في تلك اللحظة، ونسيت شأني كله، واستطعت أن أعتذر بابتسامةٍ انتزعتها انتزاعًا، وأعجمت وتلعثمت، ومددتُ يدي بمال الألواح الغامضة كله، وقلت كالمتسوّل اليائس، أقايض حياتي: سقط منك هذا.

عبد الحليم قنديل... هل عاد من دشلوط؟

عبد الحكيم حيدر

فجأةً، اختفى عبد الحليم قنديل بلا مقدّمات من شهرين وأكثر، قال بعضهم إنه ذهب إلى دشلوط للتجارة في السمسم والشيح، مع أنه لم يرسل لا السمسم ولا الشيح في أكياس إلى البلد، ولا حتى ظهرت عليه علامات التجارة من مكاسب، فاشترى مثلاً سبع فيلات كأحمد موسى، على حد تعبير مرتضى، على الرغم من أن الاثنين كانا كتفا على كتف في كل أيام «30/6» ولياليها، وطبيخها، وسراديبها وإعلامها الموجّه، ولا حتى ظهر فجأة، ولو حتى في «قناة حساسين»، كي يعلن عن تجارته الجديدة التي عَيّنته عن المشهد، ولا حتى قابله لصوصٌ في دشلوط، فأخذوا رأسمال تجارته وملابسه الكشمير وبغلاته مع السمسم والشيح، ولا أي شيء من هذا أبداً، هل ترك كل الأحداث التي كان فيها مل، السمع والبصر هكذا بسهولة وعن طيب خاطر، ابتداء من مناوشاته المستمرة «لإسرائيل»، وأسلحته النووية حتى محمد الدرة وحدود 67، حتى وصل إلى رصده المخبري والدقيق لتلك الكيميا، التي تنصهر وتتوالد وتتفاعل وتتنوع ما بين الرحوم ترامب وعبد الفتاح السيسي، فأين ذهبت عناصر التفاعلات الكيميائية الخلابة ما بين الزعيمين خلال سنوات أربع بكامل طاقتها من خلال ميكروسكوباته شديدة الحساسية؟

أين ذهبت كل العناصر التي تولدت من خلال هذه الكيميا، الفريدة التي عبّرت محيطات وقارّات، وهو المنظّر والمستشرف لتالقات هذه الكيميا، التي كان من الممكن أن تملأ العالم بالعباقرة والمخترعين من البلدين من نيويورك حتى دشلوط؟ ولماذا لم تعلن دشلوط أن عبد الحليم قنديل في أسواقها يتاجر ويعيش ويشرب الشاي في الأسواق ويصلح نعليه، أو حتى في أحد معاملها السرّية يتابع باقي أبحاثه، عن تلك الكيميا، التي كانت ما بين الزعيمين، وهو يرصد ذلك بالطبع بعيداً عن التجاذبات والجدالات الفارغة التي تحدث وتملأ القاهرة، فهل عرفت «إسرائيل» نتائج هذه الأبحاث، وتركت الرجل يكلمها من دون أي إحساس من أي خطر قد يحدث ويهدد مستقبلها الوجودي في المنطقة، ذلك المستقبل الذي طالما هدمه عبد الحليم قنديل من أساسه على مدار 30 سنة من نضاله، وابتنى بدلاً منه مساكن شعبية لفقراء غزة وبيت لحم والخليل؟

وهل ستكون الإمارات أو البحرين أو السعودية هي وجهته، كي يقدم لهذه البلاد نتائج أبحاثه؟ أعرف أن عبد الحليم قنديل عروبي حتى النخاع، فهل سيناقش خلافاته السياسية مع توجهات الإمارات الجديدة نحو «إسرائيل»، قبل أن يعرض عليهم نتائج أبحاثه؟ أم سوف يمرّ على البحرين، أم يكتفي بفتح الكلام مع المملكة السعودية من دون أن يفرّط في الأرقام السرية للأبحاث، باعتباره «شيخاً ناصرياً قديماً»، ولا يأمن لمكر المماليك، ولن ينسى أبدا أن الناصري لا يُلدغ مرتين من عدوه التاريخي. كلها أسئلة لم يطرحها عبد الحليم قنديل على نفسه إلى الآن، لأن الوضع ما زال ضبابيا في شأن أبحاثه، وفي العالم كله للأمانة الشديدة، وأيضا لم يره أي أحد في أسواق دشلوط رأي العين، فكلها أخبار تنقصها التأكيدات، إلا أن مفكّرين قالوا إن السيسي على اتصال دائم به بطاقم معمله الكيميائي، سواء أكان بالفعل في دشلوط أم في المنطقة الغربية العسكرية بجوار الضبعة، وأن ابتعاده عن المشهد السياسي ما هو إلا جزء استراتيجية لإرباك الخصوم وخصوصا «إسرائيل»، وأن الذي وضع هذه الخطة كاملة هو «الدكتور الرنط».

بعد كل ذلك أشهد أن المفكر والكيميائي عبد الحليم قنديل أقرّ خلال سنوات السيسي في حكمه بحقيقتين دامغتين، قد تكشف عنهما الأيام المقبلة في معامل أشد دقة مما وصلنا إليه، ألا وهي أن ما بين السيسي وترامب «كيميا» على حد تعبيره هو، وها هي «الكيميا» تؤتي ثمارها، وتخرج ترامب بالسلامة إلى مزرعة ديوكه، أما الثانية التي دمغها، وهي حقيقة للعلم، فور فوز القائد السيسي بحكم تونس، خرج قنديل، وقال: «إن ما بين اسمي الزعيمين نقطة واحدة، يعني الإخوان بالسلامة هنا، وهناك»، وتلك أخطر من «الكيميا»، وتحتاج بالطبع إلى مفسّر أحلام من الوزن الثقيل، ويا حبذا لو كان هو «مفسّر أحلام المماليك» عماد الدين أديب، كي يتحفنا بسر هذه «النقطة» التي لم يوضحها عبد الحليم قنديل تماما.

بين السودان وإثيوبيا... عداء مستحيل

جمال محمد إبراهيم

1

تتملّكني حيرةٌ لا أملك أنْ اردّها، وأنا أرى هذه العلاقة بين السودان وإثيوبيا تتردّى في كلّ يوم بأكثر ممّا قبله من أيام. أريد لقلمي أن يكتب مقالاً في الموضوع، لا يفارق التحليل الموضوعي ولا الرؤية السياسية، فلا يطاوعني قلمي من فرط طغيان العاطفة على قلمي، وقد مارس الدبلوماسية، وشبّ وهو يرى حميم التواصل بين بلادي السودان والجارة الشقيقة إثيوبيا، عميقاً راسخاً. أنا من جيل تفتّح على بروز الزّعماء الكبار في قارّة أفريقيا وقد تنادوا في العاصمة الإثيوبية أديس أبابا، يتداولون في شأن الوحدة التي تجمع شعوب تلك القارّة، بعد أنْ نالت معظم البلدان فيها استقلالها. كانت القيادات العظيمة تلك، ومنها جمال عبد الناصر ومحمد الخامس وكوامي نكروما وسيكوتوري وموبوتو كينا وسواهم من كبار القارّة، قد التقوا في ضيافة «أسد يهوذا»: الإمبراطور هيلاسلاسي. الهاهل اللص فوق السور، وتسلّلت إلى مخدع سيدة البيت الخانع النائمة، فسُحر بجمالها وحسنها، وأسره شعاع النور الخافت من ضوء القمر على وجهها، فتيبس واقفًا مذهولًا، وأخذ بها وشغف، ثم خطر له خاطر. انتبهت، فأحصيتُ الحاصل، والتبس عليَّ الأمر، ورجّحت أن السيدة الأخيرة نسيت دفع ثمن اللوحة، فتركت كتابي والسيدة النائمة واللص مسحورًا بجمالها، ما يزال واقفًا، هل يمكث فيرتوي من سحرها أم يعود على أدراجه، ولحقت بها في الزحام، وبلغتها واستوقفتها وأنا ألهث، فتوقفتْ، واستدارت إلى فنظرت إليها، فوجدت ما وجد الثعالبي: مطلع الشمس من وجهها، ومنبت الدرّ في فمها، ومزهر الورد من خدّها، ومنبع السحر من طرفها، ومبادي الليل في شعرها، ومغرس الغصن من قدّها، ومهيل الرمل في ردفها، حتى إني غصصتُ بريقي، وجمدتُ في مكاني، ولم أعد أعرف عدوي من صديقي، وفقدت طريقي، وشهقت، وقلت هذه أجمل امرأة رأيتها في حياتي. وأظن أني توقفت عن النفس، وكدت اختنق، لولا أنَّ التنفس حتمٌ لا طاعة له في مُلك الإرادة. رفعت نظارتها، وكان لا يزال اللوح في يدها فبانت عيناها، ورمت بسهميها في أشعار قلب مقتل، وكنت أيبسُ. فرفعت يدي معتذرًا مستسلمًا، وعدت خطوة إلى الوراء حتى أنجو من السقوط، حتى أنه تهيأ لي أني كنت أحمل سكّينا وسقطت مني فصاصات على الأرض، ثم نبست بثلاثة أحرف، فطرت من ثغرها حرفًا حرفًا، مثل عسل التين الناضج، وقالت باسمة: نعم. كانت يداي مرفوعتين كأنها شهرت عليَّ سيفًا، وكان عنترة قد اشتهى ثغر عبلة عندما لمع سيفه وودَّ أن يقبّله، أمّا أنا فتذكّرت السيف عندما رأيت ثغرها، وأنا ذاهلٌ عن الناس حوالي يتدفقون، من اليمين والشمال، واقف في جفن الردى، وعجزت عن الكلام، ولم أكن بعتُ في حياتي شيئًا، كنت أشتري دومًا، وتمنّيت لو استطعت شراء خيالي في تلك اللحظة، ونسيت شأني كله، واستطعت أن أعتذر بابتسامةٍ انتزعتها انتزاعًا، وأعجمت وتلعثمت، ومددتُ يدي بمال الألواح الغامضة كله، وقلت كالمتسوّل اليائس، أقايض حياتي: سقط منك هذا.

مثل رئيس وزرائها أبي أحمد، يجهل ذلك التاريخ، وإنْ نعلم أنه من مواليد سبعينات القرن الماضي.

2

من اشتعالات تلك المنظمة الأفريقية، ومنذ لحظات إنشائها الأولى، أن تعمل على توطيد اللُّحمة بين شعوب القارّة الأفريقية، وأن يتعزّز استقلال دولها، وأن تجاهد لفكّ أسر بقية شعوبها التي ما زالت ترزح تحت نير الاستعمار البغيض. ولعلّ أهم ما نادت به تلك المنظمة، ونصّ عليه ميثاقها، أنْ تنأى تلك البلدان الشقيقة عن التدخل في الشؤون الداخلية في بلدان أعضائها، وألا تبرز ما يُهدّد وحدتها، بابتدار منازعات أو ملاحقة مطامع ممّن هو أقوى على من هو أضعف. لذا كان النصّ واضحاً في ميثاقها أنْ يظلّ الاحترام باقياً على تلك الحدود التي رسختْ بعد رحيل الاستعمار، لمّا استشعرتْ المملكة المغربية أن تجاوزاً قد وقع في ما يتعلق بحدودها التاريخية، وأنّ معظم عضوية المنظمة الأفريقية آنذاك اعترفت بجمهورية جبهة البوليساريو دولة في الصحراء الغربية، جنحتْ للخروج من تلك المنظمة، إذ رأت أن الميثاق (كما التاريخ) لا يوافقان ما مالت إليه المنظمة بذلك الاعتراف. ولم تبلغ الصحراء أن تكون دولة كاملة المعالم.

3

إنْ جئنا على ذكر العلاقات السودانية الإثيوبية، فإن بينهما من العلاقات ما هو ضارب في عمق تاريخ، فما دولة «كوش» التي قامت قبل آلاف السنين في الإقليم الممتد من جنوب مصر وإلى العمق الأفريقي الشرقي الحالي إلّا السّودان واثيوبيا وإريتريا والصومال وجيبوتي. ذلك تاريخ قديم لن نسرف في تبيانه هنا. ولكن الأكثر حداثة هو دور السودان، والذي كان تحت سيطرة بريطانيا في النصف الأول من القرن العشرين، شارك السودانيون ضمن حراك الحلفاء في صد العدوان على إثيوبيا خلال الحرب العالمية الثانية. يحفظ الإمبراطور «أسد يهوذا» كيف خرج من بلاده طريداً، واوته لندن في سنوات الحرب تلك. عاد إلى السودان من لندن، وانتظر في صيافة الشريف الهندي، وهو زعيم طائفة سودانية له شان وعظيم مكانة في السودان. حين انهزم جيش موسوليني في الحبشة، عاد الامبراطور هيلاسيلاسي إلى عرشه المكين في أديس أبابا. ظلّ الإمبراطور يلهج لسانُه بهذا الفضل حتى أيامه الأخيرة. ذلك مثلٌ واحد مما رسخ بين البلدين من صميم العلائق وحميمها، لا تبلى ولا تغيّب.

4

وللسياسة في البلدين تقلّبات وانقلابات، ولكن تبقى الوشائج على متانتها في السراء كما هي في الضرّاء. يلوذ المعارضون السودانيون، حين تضيق بهم الخرطوم، ليقيموا في أديس أبابا، ويلوذ معارضو إثيوبيا بالخرطوم إن طوّحت بهم السياسة.

قادة إثيوبيا غادروا من الخرطوم إلى أديس أبابا، أعزّة أقوياء ليقودوا بلادهم بعد سقوط الطاغية منغستو هايلي مريام. أما قادة إريتريا، فقد احتفلوا باستقلال بلادهم في الخرطوم عام 1990، قبل أن يصلوا إلى عاصمتهم أسمرا. لا يكاد يتصوّر سوداني أن ينشأ نزاع حول حدود بلاده المشتركة مع إثيوبيا أو مع إريتريا. حكمتْ حدود السودان مع الحبشة (كما كانت تعرف أول القرن العشرين)، اتفاقية وقعها الحاكم البريطانيون باسم السودان مع السلطات الإثيوبية، واقرّتْ عبر كلّ هذه السنوات، ثم روجعتْ في الخمسينات في القرن الماضي، بغرض إكمال ضبط الحدود. وتمّ في 1972 توقيع إكمال تحديد الحدود وفق خرائط وعمل ميداني أنجز بتراضٍ كامل بين البلدين.

5

منطقة «الفشقة» التي بدتْ نُذر نزاع مسلّح تتصاعد حولها هي أراض سودانية خصبة ضمن حدود السودان. ولكن من أفضال السودانيين هناك أن شارك مزارعون وعمّال زراعيون من إثيوبيا في أخصب أراضيهم. ما تصوّر السودانيون أنّ يأتي بعد سنوات من اقتسام العيش من يدّعي أن تلك الأرض ملك له بوضع اليد، لا بنصوص اتفاقيات مرعية. بما أنّ الوالغين في أوّل ذلك النّزاع هم أفرادٌ من مليشيات إثيوبية سلحوا أنفسهم، لكان الأوْلى أنْ تتفق السلطتان في الخرطوم وفي أديس أبابا لاحتواء النّزاع، ولكن أنْ يجنح الجيش الإثيوبي للدفاع عن المعتدين من رعاياه، فتلك قاعدة «أنا وابن عمي على الغريب»، وهي قاعدةٌ لا مكان لها قولاً أو فعلاً، لما بين البلدين والشعبين من قواسم لا تعدّ ولا تحصى، وجذورها ضاربةٌ في تاريخ يبلغ مداه آلاف السنوات.

6

حينَ جاء أبي أحمد ليساعد في تهدئة النفوس في الخرطوم، ولبقترح حلولا وصياغات تحكم الفترة الانتقالية بعد إسقاط نظام عمر البشير وازلامه في الخرطوم، لم تكن مبادرته خبط عشواء، أو فعلا منبتاً لا اساس له في التاريخ البعيد او القريب. قدّر السودان مساعي الرجل، ولم يرَه بأنّ مبادرته تدخل في شؤون البلاد الداخلية، مثلما رُدتْ مبادرة السودان في الصراع الدائر بين الحكومة الإثيوبية والتيغراي. جاءته جائزة نوبل للسلام، لأنهُ أثبت مصداقية عالمية حين أنهى، بشجاعة فائقة، عداء عشرين سنة بين إثيوبيا وإريتريا، ولكن أيضاً، وكما أشار مانحو الجائزة، أنه أثبت قدرة عالية لإقرار استقرار وسلام في كامل المنطقة. لم يردّدوا بالحرف أن الرجل ساعد في استقرار السودان وثورته البطولية، لكن بذكر تلك الفقرة في حيثيات منحه الجائزة فقد المحوا إلى دوره في ثورة السودان. يحفظ السودانيون للرّجل فضل إسهامه، كما يظل تقديرهم للشعب الإثيوبي الشقيق غظيما راسخا مستداما.

7

لنا ثقة في السودان لأن يستشعر الزعيم الإثيوبي روح الوحدة الأفريقية التي رعى بذرتها كبار القارّة الأفريقية في أديس أبابا، قبل أن يولد هو بنحو عشرة أعوام، ونثق في أن يراجع ما في ميثاق تلك المنظمة الأفريقية ما يعيدنا (السودان وإثيوبيا) على التفاهم بالحسنى، والسعي إلى استعادة صفاء النفوس من غلواء نظر ضيق، فيما يواجه البلدان واقعاً أكثر تعقيداً وتحدّيات، أقلها هجمة جائحة لا تفرق بين «خرطوم» أو «أديس» أو «فشقة».

في خاتمة المطاف، لنا ثقة بأن ابن القارة الأفريقية، أبي أحمد، سيحافظ على مصداقية تلك المساعي التي بذلها وقدّرها المجتمع الدولي، وقلّده عبرها أرفع وسام للسلام، فينظر باحترام مطلوب لما توافقتْ حوله القيادات الأفريقية التاريخية لاحترام تلك الاتفاقيات التي تحكم السيادة والحدود والمياه.

(كاتب وسفير سوداني سابق)

> يلوذ المعارضون السودانيون، حين تضيق بهم الخرطوم، ليقيموا في أديس أبابا، ويلوذ معارضو إثيوبيا بالخرطوم إن طوّحت بهم السياسة

امتحان الثورة السورية الكبير

حسام الحميد

عشر سنوات عجاف مرّت أو كادت تنصرم، ونزيف الدم السوري لم يتوقف يوما، ومعاناة أهلنا تزداد يوما بعد يوم، ووضع الأمور في نصابها الصحيح، والاستحقاق الانتخابي على الأبواب، والمعارضة الهزيلة تكشّف عن زيفها، والفساد المستشري في مؤسساتها بات يزكم الأنوف، وعصابة محمد الجولاني تقوم بدور شرطي النظام، و«قسد» (قوات سورية الديمقراطية) تستفرد بالمنطقة الشرقية، وتنهب خيراتها وتستعبد أهلها، والأمور تزداد سوءاً، ولا حل يلوح في الأفق، فما العمل؟ لا بدّ أولاً من تشخيص هذا الواقع المرير، ومن ثم اقتراح الحلول المناسبة.

ليس لدى أي سوري ثائر حر شريف، خرج في هذه الثورة العظيمة، أي شك اليوم في فساد مؤسسة الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، والمؤسسات المنبثقة عنه، والتي تمثل المعارضة السورية كافة، سواء السياسية منها، أو العسكرية شاملة منظمات الإغاثة، واصبحت قناعته في ذلك، كما هي قناعته التامة في فساد النظام وزمرته العميلة المجرمة، ويذهب السوري الثائر أكثر من ذلك في ربط بعض شخوص هذه المعارضة بالنظام نفسه، ويصل الشك عنده إلى حدّ القناعة، شبه التامة، بوجود عناصر مهمة فاعلة من رموز هذه المعارضة، من صناعة النظام، وهي تتبع له، واستطاع زرعها في جسد المعارضة الهشّ، وسيطرت بعوامل كثيرة على قرار تلك المؤسسات، حتى باتت تلك المعارضة رهينةً لها، وتتحكّم بها كيفما تشاء، وثمة أحداث جارية تؤكد هذه الشكوك، ولا سيما أن الاستحقاق الانتخابي لرئيس العصابة قاب قوسين أو أدنى، وهي مرحلةٌ مفصليةٌ في عمر النظام، يعمل جاهداً على استثمارها لصالحه، وإشراك هذه المعارضة الهزيلة بشكل رسمي فيها، وهي ما تحاول فعله من خلال أداء الهيئة الدستورية، والإعلان عن تشكيل هيئة انتخابية، واستعداد بعض الأشخاص للترشح لخوضها، يعني إعطاء الشرعية للنظام المجرم، وإعادة إنتاجه وتعويمه لمرحلة جديدة، قد تطول سبع سنوات عجاف أخرى.

الأخطر من ذلك والأدهى والأمرّ أنها ستخرجه من دائرة الإجرام والإبادة الجماعية، والديكتاتورية والاستبداد، إلى دائرة الديمقراطية والحرية، ومن ثم البطولة والوطنية والثورية وحامي الحمى، ومحارب الإرهاب. وقد تستثمر هذه السنوات المريرة من فترته الرئاسية المقبلة، لتهيئة ابنه خليفة له، ويقضي فيها على آخر جيوب المقاومة، وآخر نفس ثوري في الشعب السوري كله، ومن هنا تأتي خطورة الانتخابات، وجريمة من يترشّح ويشارك فيها.

الشعب السوري اليوم أمام مهمة كبيرة، وهي ضرورة إزالة رموز فاسدة تربعت على قمة هذه المؤسسات رغماً عن الشعب الثائر، مدفوعة بأجندات غريبة، ومن دون إرادته، وحولتها إلى باب للاسترزاق والكسب غير المشروع والثراء الفاحش على حساب دماء الشعب السوري ومعاناته. والدفع بالشخصيات الوطنية النظيفة من أصحاب الخبرة الكبيرة، والكفاءة العالية، والسمعة الحسنة، إلى تصدر المشهد بدلاً عنهم، ومن ثم محاسبة الجميع، بمن فيهم الذين يدّعون النزاهة والحرص على الثورة، ويعملون على انتقاد هذه المؤسسات الفاسدة في مجالسهم الخاصة؛ من شخصيات كانت وما زالت ضمن هذه الجوقة الفاسدة سنوات طويلة، وساهمت مساهمة كبيرة في التغطية عليهم. ومشاركتهم الجريمة على استحياء، وعملت معهم على إبعاد الشخصيات الوطنية، ذات التاريخ النضالي المشرّف، والخبرات المتراكمة في العمل السياسي، المشهود لهم بالنزاهة ونظافة اليد، وسلامة القلب، وصدق النيات، والإخلاص في العمل.

يثمل الجولاني اليوم الخنجر المسموم في خاصرة الشعب الثائر، وضابط المخابرات الذي يستحلّ كل الحرمات، ويستبيح الأموال والأرواح، ويفتك بالشعب فتكا لم يستطعه النظام نفسه، ويعربد هو وعصاباته المجرمة، ويحوّل الشمال المحرّر، وتحديداً مناطق نفوذه، إلى غابةٍ ومزرعةٍ وإمارة، وينصّب نفسه أميراً على ركام وطن هده القصف، وشعب هده الجوع والظلم والحرمان. ولا سبيل للخلاص إلا بقوة أكبر، والقوة له وليست عليه، ومن يرتجي منهم الخلاص يؤمنون له الغطاء، ويطلقون يده يفعل ما يشاء من دون رقيب ولا حسيب. إنه الوجه الآخر لبشار وعصابته، يفعل ما يعجز عنه صنوه وخليله وربيبه ومعلمه وسيده.

تستبيح «قسد» المنطقة الشرقية والشمالية الشرقية من سورية، وتنهب قادتها عصابات معروفة ثرواتها التي تقدر بمليارين الدولارات يومياً، وتعربد في المنطقة متسلحة بطيران التحالف وجيوشه وعساكره، وشعبه الرازح تحت الاحتلال «القسدي»، لا حول له ولا قوة، ويعمل المستجيل لإقناع التحالف الدولي باستحالة التعايش مع قسد، وردم الهوة الكبيرة التي تتسع يوماً بعد يوم .. وتثبت «قسد» كل يوم فشل مشروعها في المنطقة، وهي في الأصل لا تحمل مشروعاً، ولا تتعدى كونها عصابات، وأداة من أدوات النظام.

ما هو الحل؟ الحل في أن يخرج الأشخاص الملوثون من مؤسسات المعارضة السياسية والعسكرية، وأن تحل بديلاً عنهم الشخصيات الوطنية النظيفة، والخالص من الجولاني وعصابته، وأن تنسحب «قسد» من منطقة شرق الفرات، وتسلم المنطقة لأبنائها، وهم من يستثمر ثرواتها لإعمار المنطقة وازدهارها، وعودة أهلها، وسعادة أبنائها.. وأن تستعيد الثورة ألقها، ويعيدها الثوار سيرتها الأولى.. ولكن كيف؟ هذا هو السؤال المحير. الذي يبحث عن جواب، وهذا هو امتحان الثورة الكبير.

(كاتب سوري)

> الشعب السوري اليوم أمام مهمة كبيرة: ضرورة إزالة رموز فاسدة عفنة تربعت على قمة مؤسسات المعارضة

تونس وجدل التعديل الوزاري

محمد احمد القابسي

أنهى رئيس الحكومة التونسية هشام المشيشي جدلا في الساحة السياسية بشأن جدوى إجراء تحوير (تعديل) وزاري بعد أربعة أشهر فقط على تشكيل الحكومة. وقد تزامن جدل التعديل مع جدل آخر بشأن ضرورة حوار وطني يرسم ملامح حلول للأزمات المتفاقمة التي تواجهها البلاد على بروز الزّعماء الكبار في قارّة أفريقيا وقد تنادوا في العاصمة الإثيوبية أديس أبابا، يتداولون في شأن الوحدة التي تجمع شعوب تلك القارّة، بعد أنْ نالت معظم البلدان فيها استقلالها. كانت القيادات العظيمة تلك، ومنها جمال عبد الناصر ومحمد الخامس وكوامي نكروما وسيكوتوري وموبويو كينا وسواهم من كبار القارّة، قد التقوا في ضيافة «أسد يهوذا»: الإمبراطور هيلاسلاسي. الهاهل اللص فوق السور، وتسلّلت إلى مخدع سيدة البيت الخانع النائمة، فسُحر بجمالها وحسنها، وأسره شعاع النور الخافت من ضوء القمر على وجهها، فتيبس واقفًا مذهولًا، وأخذ بها وشغف، ثم خطر له خاطر. انتبهت، فأحصيتُ الحاصل، والتبس عليَّ الأمر، ورجّحت أن السيدة الأخيرة نسيت دفع ثمن اللوحة، فتركت كتابي والسيدة النائمة واللص مسحورًا بجمالها، ما يزال واقفًا، هل يمكث فيرتوي من سحرها أم يعود على أدراجه، ولحقت بها في الزحام، وبلغتها واستوقفتها وأنا ألهث، فتوقفتْ، واستدارت إلى فنظرت إليها، فوجدت ما وجد الثعالبي: مطلع الشمس من وجهها، ومنبت الدرّ في فمها، ومزهر الورد من خدّها، ومنبع السحر من طرفها، ومبادي الليل في شعرها، ومغرس الغصن من قدّها، ومهيل الرمل في ردفها، حتى إني غصصتُ بريقي، وجمدتُ في مكاني، ولم أعد أعرف عدوي من صديقي، وفقدت طريقي، وشهقت، وقلت هذه أجمل امرأة رأيتها في حياتي. وأظن أني توقفت عن النفس، وكدت اختنق، لولا أنَّ التنفس حتمٌ لا طاعة له في مُلك الإرادة. رفعت نظارتها، وكان لا يزال اللوح في يدها فبانت عيناها، ورمت بسهميها في أشعار قلب مقتل، وكنت أيبسُ. فرفعت يدي معتذرًا مستسلمًا، وعدت خطوة إلى الوراء حتى أنجو من السقوط، حتى أنه تهيأ لي أني كنت أحمل سكّينا وسقطت مني فصاصات على الأرض، ثم نبست بثلاثة أحرف، فطرت من ثغرها حرفًا حرفًا، مثل عسل التين الناضج، وقالت باسمة: نعم. كانت يداي مرفوعتين كأنها شهرت عليَّ سيفًا، وكان عنترة قد اشتهى ثغر عبلة عندما لمع سيفه وودَّ أن يقبّله، أمّا أنا فتذكّرت السيف عندما رأيت ثغرها، وأنا ذاهلٌ عن الناس حوالي يتدفقون، من اليمين والشمال، واقف في جفن الردى، وعجزت عن الكلام، ولم أكن بعتُ في حياتي شيئًا، كنت أشتري دومًا، وتمنّيت لو استطعت شراء خيالي في تلك اللحظة، ونسيت شأني كله، واستطعت أن أعتذر بابتسامةٍ انتزعتها انتزاعًا، وأعجمت وتلعثمت، ومددتُ يدي بمال الألواح الغامضة كله، وقلت كالمتسوّل اليائس، أقايض حياتي: سقط منك هذا.

تشغلها القاضية ثريا الجربيي. وقد اكتفى الرئيس قيس سعيد، في لقائه بالمشيشي، قبل إعلان التحوير، بالتأكيد على ضرورة عدم الخضوع لأيّ من أشكال الابتزاز والمغايظة، مذكرا بضرورة الا يرتقي الشك إلى نزاهة أعضاء الحكومة.

ويمكن القول إن المشيشي اختار أن يعدو وحيدا في مضمار تحدّيات المرحلة واستحقاقاتها، فقد قطع مبدئيا مع تجاذبات احدثتها اختيارات الحكومة في التشكيل السابق بين وزراء عينهم رئيس الحكومة وآخرين من تعيين رئيس الجمهورية ومحيطه القريب، وحول ما أشبع خاصة من تدخل رئيسة ديوانه نادية عكاشة. كما انهى جدلا بشأن الذين تصوروا هذا التحوير غاية في حد ذاته، وليس وسيلة لاستئناف العمل الحكومي النجاعة المطلوبة. وانهى المشيشي ما أشيع عن ابتزازات عديدة مورست عليه من الأحزاب الوازنة في البرلمان، بغية التواصل الاجتماعي، إذ لم يشتمل التعديل على أي شخصية نسائية، فضلا عن حذف الوزارة المكلفة بالعلاقة مع الهيئات الدستورية والمجتمع المدني، والتي كانت الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية وتداعيات جائحة كورونا على المدينيْن، القريب والمتوسط. هناك من رأى أن هذا التعديل كان مستوجبا في سياق ضرورة الرفع من أداء الحكومة لمواجهة التحدّيات والانتظارات عالية السقف. وقد مكّن من تشكيل فريق حكومي منسجم، كما مكّن رئيسها من أن يصبح رئيسا فعليا لحكومته، بخروجه من جلباب رئيس الجمهورية قيس سعيد وخانة الوزير الأول، وذلك بإبعاد الوزراء المحسوبين على رئاسة الجمهورية، وهم خصوصا وزير الداخلية والعدل وأملاك الدولة. علاوة على سد الشغور في وزارتي الثقافة والشؤون المحلية، وإعادة وزارة التكوين المهني والتشغيل، بعد حذفها في حكومته الأولى. والملاحظ أن تأكيد المشيشي على استقلالية الحكومة في تركيبتها الجديدة آثار بدوره ردود فعل تفند هذا التأكيد، فقد رأى حزب التيار الديمقراطي مثلا أن التعديل الوزاري جعل من الحكومة التي انطلقت مستقلة حكومة سياسية متخفية، ذلك «أن أغلب الأسماء قريبة من الكتل الداعمة للحكومة، وبدرجة أولى من حركة النهضة وقلب تونس وكذلك تحيا تونس وكتلة الإصلاح». كما رأت حركة الشعب أن المشيشي أثبت خوضه حربا بالوكالة عن رئيس البرلمان وحركة النهضة، راشد الغنوشي ضد رئيس الجمهورية، واختار لنفسه اصطفافا آخر، ما سيضع الرئاسات الثلاث في صراع، لا يمكن معه التطلع إلى استجابة للانتظارات الشعبية. ومن المؤاخذات أيضا إقصاء العنصر النسائي، وهو موقف كبرى المنظمات الوطنية ومكونات المجتمع المدني وناشطي وسائل التواصل الاجتماعي، إذ لم يشتمل التعديل على أي شخصية نسائية، فضلا عن قدرة على مجابهة التحدّيات، وتجاوز

> مأمول أن يقف تيار المناكفات والاتهامات والصراعات داخل البرلمان وفي المشهد السياسي

المعركة بدأت مع الترامبية عربياً

ياسر أبو هلالة

غادر مذموما مدحورا، بعدما فشلت كل محاولاته المستميتة للانقلاب على نتائج الانتخابات، وعدم الاعتراف بالهزيمة. خذله الجيش الذي لا يخرج عن وظيفته في حماية الدستور، تماما كما خذله القضاء من المحاكم الاتحادية إلى المحكمة العليا، مسجّلا سابقة في تاريخ أميركا في عدم الاعتراف بنتيجة الانتخابات. خلّف كثيرا من الدمار والاستقطاب، ونذر الاحتراب الأهلي، لكن ذلك سينتهي في ظل تماس

عُزلة كورونا ليست كغيرها من العزُلات

دلال البزري

صارَ لك سنة وأنت تنفّذ تعليمات الحجر. بتراخٍ حيناً في البداية. بتمرّد أحياناً يسبقه خَتناقٌ، في الأواسط. ولكن غالبا بإنتظام مع موجات الفيروس، الصاعدة والهابطة. صارَ لكَ سنة تغلق الباب الحديدي من خلفكَ، فتأمن من الموت المُحتمل. أو أقله من مهالك الأوجاع لو نجوتَ بعد الإصابة بالفيروس. في البداية، قلتَ شعراً بالوباء، فتغنيتَ بالسماء التي عذُبت، والهواء والعصافير وصوت الطبيعة ونسماتها.. لم تكن تتوقع أن هذه النعمة ستدوم، وتصبح يباساً بعد أن تحلّ العزلة التامة على وجودك. الآن، لم يعُد هناك من سماء ولا بحر ولا جبل ولا نهر .. ولا من فائدة من لطفها كلها. صارت مكاناً بعيداً، غريباً، خيالياً، لا يطاوله وجودك. مثلها مثل الشوارع والناس والدكاكين والمقاهي. مهجورين. فهي، أي العزلة، ليست طوعية، كتلك التي تطيب للنُساك والشعراء والأنبياء. إنها قسرية. تفرضها غريزة بَحْتة للبقاء على قيد الحياة.

تقول لنفسك «فلنقرأ». ولكنك تفقد شغَفك بالكتب. الأخبار. وحدها الأخبار تملأ دنياك .. السياسة، الوباء .. وإذا كنتَ محظوظاً بالعمل الإلكتروني، فسيتحوّل هذا الحظ إلى واجبٍ غليظ، يتسلّل إليه الضجر شيئاً فشيئاً. ولا شهود أيضا على أي من عيوبك أو حسناتك. لا لقاء مع أحد. لا أخوة ولا أقارب ولا جيران ولا أصدقاء ولا زملاء. ولا رفاق طريق. ولا حتى مجهولون، تصادفهم على الطريق، أو سائقو سيارات الأجرة.. لا مقهى، أو مطعم، أو ناد، أو سهرة.. ولا سفر عمل أو سياحة أو لقاء الأخوة والأبناء والبعيدين. لا حيركة ولا تنقل ولا تجوال ولا نزْهة. ولا مفاجآت بالتالي. لا تنتظر أحدا. ولا أحد ينتظرك.

ولكثرة ما جلستَ، لم تَعُد مباليا بما ترتدي. أحيانا، حافياً، بثياب «العِري»، كما يقولون: لباس النساء المعتَمَد للاشتغال بمهام المنزل. هكذا، تفقد مَلَكة المشي خارج البيت، ولبس الحذاء وارتداء الهندام الذي تحب أن يراه عليك نظراؤك من البشر. جسمكَ أخذ راحته. انشغلت بالطعام والنوم والجلوس على الكنبة. وعندما تضطرّ للخروج لضرورةٍ ملحّة، تكتشف أن رجليك ويديك تناثرت، تراخت ضوابطها، فالمشي في الخارج هو في الأخير ثقافة اليوميات بين الناس.

ولكن الأمرّ من هذا كله غيابك عن كبرى لحظات الحياة. في عزلتك هذه، وتحت طائلة خطر الموت، ممنوع عليك المشاركة في تلك اللحظات: لا الموت ولا الزواج ولا الولادة .. يمكنكَ الحضور إليهم. الموت خصوصاً، وتعزية المصابين بلوْعات الغياب .. تلك الأوقات التي تواسي فيها بحضورك، تلك الأوقات الثمينة، الناسجة وشائج الرحمة بينك وبين الناس .. صرتَ محروماً منها. تكتفي بتسجيل «أللـه يرحمو» أو «يرحمها»، على مواقع التواصل الاجتماعي. ثم تكمّل اللاطريق. «الله يرحمو». كبْسة رزّ، وتكون أتممتَ واجبك. تعزية سريعة. مثل الوجبات السريعة. غير مكلفة، متبخِّرة، تعزّ عليها الروح. مثلها الأعراس، المفرحة المبهجة صحيح، ولكنها على خط الحياة والموت نفسه .. لا أفراح ولا أتراح. كأنك شجرة صبير، انقطعت عن صحرائها.

ولكن ما يواسيكَ في محنة الانقطاع هذه أن ملايين من البشر مثلك معزولون. ومثلك يتعطشون للرؤية واللقاء والأواصر. ما يسمح لكَ، لو صبرتَ على هذه المحنة، بأن تنظر إلى العزلة بصفتها حمّالة وجه آخر. لا أقصد هنا تلك الموجة التي طغت على الشبكة، والقائلة إنك في البيت يمكنكَ أن تطوّر مهارات منزلية. مثل الطبخ والتنظيف ومختلف أعمال تصليح البيت. وهذه مهمات محمودة، ولكن العبث يعبرها بدوره. جلّ ما تجنيه هو «لايكات» المواقع التواصلية. وهي جنى مؤقتة، ابنة لحظتها. تنساها، وأحياناً تذْمن عليها. دون أن ينْزاح العبث عن دربها.

بل أقصد شيئاً آخر. أن العزلة هذه تبعدك عن التشوّش الذي يصيبك بمعاشرتك لغيرك. حتى لو كانوا من خيرة القوم. أفكار ومواصفات وتعليقات ولا مبالاة وذبذبات. وتاريخ طويل معها. كوّنتَ خلاله تصوّراً عن نفسك، هو ترجمة لكل تلك الأنشطة الذهنية. والأخيرة من طبيعة الاجتماع البشري. لم يخلُ منه أي عصر، وأي نظام. ولا أعني هنا أنك تتخلّص في هذه العزلة من التصوّرات السلبية عن نفسكَ. كأن تكتشف، مثلاً، بعد كل هذا الصمت من حولك، أنك أكثر شجاعة أو كرماً أو ذكاء، مما ألِفْته عن نفسك بفعل الآخرين. بل يمكن أن يحصل العكس أيضاً: بأن تنْكشف نفسكَ أمامكَ، فتبدو لك أقلّ شجاعة وكرماً وذكاءً مما ألصقته بكَ تلك الأنشطة الذهنية. تتخلّص من سموم

> تتخلّص من سموم تصوّرك عن نفسك، صاغه الآخرون. وتدخل في رحلةٍ داخلية، هي أبعد من الجبال التي حُرمت منها

تصوّرك عن نفسك، صاغه الآخرون. وتدخل في رحلةٍ داخلية، هي أبعد من الجبال التي حُرمت منها. رحلة في دواخل صافيةٍ، لا تعتريها «البُرسونا». تلك الصورة المعدّلة عن نفسك التي ترغب الظهور بها أمام غيرك من الناس. وهي رحلةٌ تختلف اختلافا طفيفاً أحياناً، أو غالباً، باختلاف «درجات» أو «مواقع» هؤلاء الناس.

الانقطاع عن العالم يسمح لك بالغوص في أعماق هذه النفس. تكاد تسمعها، هذه النفس. دقيقاً، مرهفاً تنْصت إلى نبَضك، خلاياك، دقات قلبك، وجعك، رغباتك الدفينة، فتصبح ذاكرتك مثل أروقة حرّة، تسبح بينها، تختار ما يؤنسك منها، ما يؤلمك، ما يفرحك، ما يفرض عليك إعادة التفكير.. بعد مرور كل هذه السنوات. ذاكرة متحيّزة، بلا شك. مسْلكها الطبيعي هو تفسيرها على ذوقك. ولكن حتى مع هذا الميل.. تسمع صوتا سحيقاً، آتيا من بعيد، يُنذركَ. ويقول لك إن إنحيازك هذا لا يتماشى مع إخلاء دواخلك من السموم التي اعترتها يوم كانت غارقةً في بحر الحشود البشرية، وأنشطتها الذهنية.

هذا الانفتاح على نفسكَ يوقظ فضولك بغيرك. تتطفّل عليهم بالخيال أو بالمَنام أو الشرود. تتصوّرهم الآن في عزلتهم. تستعيد قصصهم المنْسية. تحنو عليهم، وتقسو. وتخشى أن تكون العزلة أقل موضوعية من غيرها من الأوضاع. تتحسّب، فتختار من البشرية الأبعد عن جغرافيتك وعصرك. وتأخذ بالمقارنة، بين الحيوات المختلفة، والمصائر، والسياقات. لماذا؟ كيف؟ كيف حصلت هذه أو تلك من مفترقات الطرق؟ ماذا عن القدر وعن الحرية؟ كيف يمكن قياسهما؟ ما هو عيار كل منهما؟

عين بلورية. تطوف في أرجاء نفسها، تزور غيرها، وتتخلّص شيئاً فشيئاً من سموم الحشود. وهذه رحلةٌ ليست هانئةً على طول الخط. هي مثل اجتيازكَ محيطا يتمايل بكَ حيناً، ويعصف أحيانا. وربما لن تنتهي بعد التغلّب على الوباء. أو ربما تنقطع. ولكنها في النهاية محمولةٌ على وعد: بأن تعود فتلتقي بأقرانك، بوجه غسلته العزلة القسرية، كأنك ولدت من جديد. إنه الأمل، الوحيد ربما، الذي يستحق تحقيقه كل هذا الترحال الشاق في قلب النفس.

(كاتبة لبنانية)

مراكب التطبيع، مراكب المقاومة

كمال عبد اللطيف

انطلقت الزغاريد بعد تغريدة الرئيس الأميركي السابق، ترامب، في موضوع رسالة اعتراف بلاده بمغربية الصحراء، مقابل قبول المغرب صعود مَرْكَب التطبيع مع إسرائيل. تَمَّت المسألة في سياق الشروط العامة لخيارٍ يتجه لإتمام ما تَمَّ ترتيبه تحت شعار صفقة القرن، التي تكشف بنودها، بصورة واضحة ومُعلنة، تصفية المشروع الوطني التحرّري الفلسطيني، وفي أبسط الأحوال دفعه مؤقتاً إلى مزيد من مراجعة خياراته السياسية. مقابل ذلك، أصدر رافضون معاهدات التطبيع، الموقعة أخيرا، مؤمنون بعدالة القضية الفلسطينية، بياناتٍ مُنَدِّدة بالمُطبِّعين في الخليج والسودان والمغرب، وتطالب بضرورة مواصلة مقاطعة إسرائيل ومقاومة غطرستها وعنصريتها وعدوانها المتواصل على الشعب الفلسطيني.

وبالركوب المُعْلَن للمغرب في مراكب التطبيع مع الصهيونية، تكون إسرائيل قد أحكمت الطوق على أغلب البلدان العربية، في الخليج وفي المشرق والمغرب العربيين. وعلى الرغم من خطورة ما أقدمت عليه الأنظمة المطبعة في الأشهر الأخيرة من سنة 2020، فإننا نلاحظ بروز ظواهر جديدة تمنح ما حصل مزايا وخصوصيات، وتقيم تمييزاً بين مطبِّعي القرن الماضي، مصر والأردن، والمطبِّعين الجُدد، وكذا الذين ينتظرون حصول المناسبة التي تُعَجِّل بصعودهم أسطُح المراكب التي تحمل المطبِّعين .. ظواهر تمنح مزايا للتطبيع الخليجي والمغربي، بالصورة التي تساعد في عمليات تمرير ما سينتجه التطبيع الجديد من تحوُّلاتٍ في موضوع القضية الفلسطينية، وموضوع التغلغل الأميركي الإسرائيلي في العالم العربي.

دعنا من المقايضة التي حصلت في المعاهدة المغربية، بحكم أن سياق مغربية الصحراء يختلف كليا عن الاستعمار الاستيطاني الصهيوني الذي رتَّب مجموع خطواته الغرب الإمبريالي في بدايات القرن العشرين، بحثاً عن حلّ للمسألة اليهودية. دعنا أيضاً، من الحديث عن السلام والازدهار في الأرض المحتلة في فلسطين، وفي المشرق العربي، ومختلف الشعارات التي تحملها صفقات التطبيع واتفاقاته، فلا أحد يعرف عن أي سلام يتحدّث المحدثون، في ظل مواصلة إسرائيل سياستها العدوانية العنصرية بدعم أميركي على شعب أعزل. الأمر المؤكد في المواثيق المعلنة هو التخلي عن المشروع الوطني الفلسطيني في التحرّر والتحرير. لنقترب من سردية التطبيع في جميع أوجُههـا.. سنجد أنفسنا أمام أمرٍ حصل ويحصل في سياق حروب وهزائم، وتؤطّره اليوم أوضاع عربية تنعُدم فيها الشروط التضامنية الدنيا التي كانت تصدِرها مؤتمرات جامعة الدول العربية، ومؤسسات التعاون الإقليمية العربية وأغلبها اليوم معطل. أما من يشتغل منها موسمياً فقد ألغى من جدول أعماله أسئلة الراهن العربي، ومآلات القضية الفلسطينية. دخلنا اليوم زمن التباهي بالتطبيع، وأصبح المحتلّ عنواناً يمتلك الكفاءات التي تجعلنا نتجنّب مخاطر الغزاة الآخرين، تحوّل الصهاينة خبراء في السياحة والتطبيب والمخابرات، وتقنيات حراسة الحدود والفضاءات .. أحكموا خناقهم على جنين الحكم الذاتي في غزة، وتطمع البحرين والإمارات أن تتكفل إسرائيل، بتنسيق مع حليفها الأكبر الولايات المتحدة الأميركية، بحمايتهم من إيران.

تنتعش اليوم سردية التطبيع في إطار شروطٍ شاركت فيها القِوَى العظمى الداعِمة لإسرائيل التي وضعت الخطط المرتبطة بتصوّرات محدّدة لِبُؤَر الصراع الدائرة في العالم العربي، بعد ثورات الربيع المحاصَرة، وأمام التداعيات التي لحقت القضية الفلسطينية منذ بداية مسلسل السلام المرتَّب ضمن بنود اتفاق أوسلو (1993) وإجراءاته.

نتصوَّر أن التحولات السريعة التي تؤشر

> اليهود المغاربة في الحكومة الإسرائيلية لم تَعُد لهم صلة بالمغرب، بعد أن انخرطوا في اليمين الصهيوني العنصري

اليوم عليها آليات التطبيع الجارية تضعنا أمام أسئلة جديدة في موضوع مآلات القضية الفلسطينية. لنتابع كيف تجري اليوم عمليات تمرير آليات التطبيع الجارية، فقد انتبه المغاربة الذين استأنسوا بزيارة مواقع التواصل الاجتماعي إلى هجوم جيوش من الصور والڤيديوهات والأغاني والحكايات، المرتبطة بأحوال اليهود المغاربة، وأغلبها مفبركٌ ومُرتّب لتوجيه موقف المغرب التطبيعي وجهة تقلّل من خطورة ما حصل على القضية الفلسطينية، مع مَيْل إلى إبراز خصوصية الموقف المغربي من إسرائيل، ومن خياراتها الصهيونية.

تَمَّ ربط التطبيع المغربي بأمرين. يرتبط أولهما بانفتاح المغرب على اليهود المغاربة. ويقضي الثاني بضرورة استكمال المفاوضات مع الفلسطينيين، في ضوء حل الدولتين والحفاظ، من جهة ثانية، على الطابع الإسلامي للقدس. وعندما كَثُر الحديث عن اليهود المغاربة تذكّرت منهم الذين أعلنوا بصوتٍ مرتفع عداءهم الصهيونية وكيانها الاستعماري في فلسطين، من قَبيل أبراهام السرفاتي وإدموند عمران المليح وسيون أسيدون. أما اليهود المغاربة في الحكومة الإسرائيلية فلم تَعُد لهم صلة بالمغرب، بعد أن انخرطوا في اليمين الصهيوني العنصري المغتصب أرض الشعب العربي الفلسطيني وتاريخه وثقافته.

توقف الساسة والمثقفون، الطلائعيون المؤمنون بعدالة القضية، عن التفكير في مآلات المشروع الوطني الفلسطيني، خارج التخندقات التي رسمتها فصائل منظمة التحرير الفلسطينية منذ سنوات، إلا أن القضية ما تزال قائمة، وهي قضية شعبٍ وتاريخ وحروبٍ ومعاهدات، تطبعُ ومقاوَمة عَمَّرَت قرناً كاملاً بحسابات وَعْد التأسيس سنة 1917.

(كاتب وأكاديمي مغربي)

حلف عسكري عربي صهيوني

حلمي الأسمر

تتسارع التغيرات في البيئة الاستراتيجية في المنطقة العربية على نحوٍ ينذر بميلاد واقع جديد شديد التعقيد. الكيان الصهيوني الذي كان أبناؤه ينشدون «من النيل إلى الفرات حدودك يا إسرائيل»، وكنا نسخر منهم، باتت حدوده اليوم «بلا حدود»، ليس بسبب هجوم التطبيع العربي عليهم فقط، بل بسبب استحقاقاته غير المرئية لمن ينظر إلى ما يبدو من جبل الجليد فقط.

من أهم ما حدث، بعد اتفاقات التطبيع التي كرّت كخرز المسبحة التي انقطع حبلها، ضم وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون) إسرائيل إلى منطقة القيادة المركزية للقوات المسلحة الأميركية (سينتكوم)، المسؤولة عن الشرق الأوسط وآسيا الوسطى. وبررت الوزارة القرار، في بيان لها، بأنه «تم إدخال تعديلات على خطة القيادة الموحدة، منها نقل إسرائيل من منطقة عمليات القيادة الأوروبية للقوات الأميركية إلى منطقة عمليات القيادة المركزية، وذلك بعد اتفاقيات السلام بين إسرائيل وجيرانها العرب، ما وفر فرصة استراتيجية للولايات المتحدة لتوحيد الشركاء الأساسيين في مواجهة الأخطار المشتركة في الشرق الأوسط». وفي وسع المرء أن يضع مليون خط تحت تعبير «الأخطار المشتركة»، إذ إنه يشمل أي تغييرات قد تحصل في المنطقة العربية، من شأنها «تحرير» الشعوب العربية من ربقة «الاستعمار الوطني» الذي يربض على صدور هذه الشعوب، وإن كان المعلن هنا، أو ما يمكن أن يخطر بالبال، ما يسمى «الخطر الإيراني»، بيان البنتاغون يضيف، «إن إسرائيل شريك استراتيجي رائد بالنسبة للولايات المتحدة، وهذا سيوفر فرصا إضافية للتعاون بين شركاء القيادة المركزية مع الحفاظ على التنسيق المكثف بين إسرائيل وحلفائنا الأوروبيين». كلام منمق مصوغ بعناية فائقة، لكنه يخفي في أحشائه سمّا زعافا وينذر بخطر داهم لأهل المنطقة العربية!

كتبت صحيفة «ذا هيل» الأميركية، في تحليلها القرار، إن التحوّل يعني أن إسرائيل ستنقل من القيادة الأميركية الأوروبية إلى القيادة المركزية الأميركية (سينتكوم) التي تشرف على السياسة العسكرية الأميركية التي تشمل الدول العربية، بعد أن تم تصنيف إسرائيل عقودا مع الدول الأوروبية، بسبب العداء بين إسرائيل وبعض الدول العربية.

احتفل الكيان الصهيوني بقرار ضمّه إلى «سينتكوم»، فغرّد وزير الحرب الصهيوني، بيني غانتس، عبر حسابه في «تويتر»: «بعد أسابيع من المحادثات، بما في ذلك مع وزير الدفاع (الأميركي) السابق (مارك) إسبر، ورئيس هيئة الأركان المشتركة (مارك) ميلي، نقل الجيش الأميركي إسرائيل إلى قيادته المركزية، المكلفة بأنشطته في الشرق الأوسط». واعتبر غانتس أن القرار «سيعزّز التعاون بين الجيشين الإسرائيلي والأميركي في مواجهة التحدّيات الإقليمية، جنبا إلى جنب مع صداقات إضافية (!) ومصالح مشتركة». وينطوي كلام غانتس الذي لا يقل تنميقا عن بيان البنتاغون على دلالاتٍ مدمرة على مستقبل المنطقة العربية، وحركاتها الوطنية وتيارات التغيير الهادفة إلى الخلاص من الهيمنة الغربية على «الولايات العربية» غير المتحدّة إلا في اتفاقها على إجهاض أي تغيير إيجابي ينصف الشعوب، ويحرّرهم من مصادرة حيواتهم ومستقبلهم.

ولنفهم مغزى القرار الأميركي الخطير الذي لم يتوقف أمامه غير قلة قليلة من الكتاب، علينا أن نعود قليلا إلى الوراء، فمع أنَّ الكيان الصهيوني محاطٌ بدول تقعُ ضمنَ مسؤولية القيادة المركزية الأميركية إلّا أنها

> تحوّل التعاون العربي الصهيوني العسكري والاستخباراتي من حالته السرية إلى العلنية الكاملة

كانت تُعتبر من مسؤولية القيادة العسكرية الأميركية في أوروبا. وفي هذا السياق، يقول الجنرال نورمان شوارتسكوف قائد المنطقة الوسطى للقوات الأميركية، ومن بعد قائد معارك «عاصفة الصحراء» التي أخرجت القوات العراقية من الكويت عام 1991، في سيرته الذاتية عام 1992: «القيادة الأوروبية أبقت إسرائيل ضمن نطاق مسؤولياتها وكان هذا أمرًا جيدًا من وجهة نظري: كنت أواجهُ صعوبةً في إقناعِ العرب بإدراك القيادة المركزية للفوارق الجيوسياسية الدقيقة، إذ كانت إحدى نقاط التوقف في خط سير رحلتي هي تل أبيب»! وها هي الطريق إلى تل أبيب غدت «سالكة» في خط سير عرب اليوم، وقد بدا أنهم أكثر اقتناعا بالفوارق الجيوسياسية التي تحدّث عنها الجنرال الراحل.

ضم الكيان الصهيوني إلى قيادة المنطقة الوسطى الأميركية، المسؤولة عن الشرق الأوسط يعني ببساطة، إدماج الكيان وحلفاء واشنطن العرب في إستراتيجيتها للمنطقة، وإعلان التعاون العسكري بين الكيان وحلفاء أميركا العرب ومأسسته، وإحداث تكامل بين المؤسسة العسكرية الصهيونية وجيوش الأنظمة العربية، إلحاق إسرائيل بنفوذ القيادة الوسطى في الجيش الأميركي يعني أيضا تمكينها من توظيف المقدّرات العسكرية لحلفاء واشنطن العرب التي تستخدمها هذه القيادة، وليس بالضرورة من أجل تنفيذ الأجندة المتفق عليها بين الولايات المتحدة والنظم العربية، بل أيضا لأجندة إسرائيلية صرفة، وفق ما يراه الخبير في الشأن الصهيوني، صالح النعامي، في سلسلة تغريدات على «تويتر».

(كاتب من الأردن)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

نائب رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
Tel: 00442071480366
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ
هاتف: 0097440190600
■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads